كتاب

فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب

تصنيف الشيخ الامام العلامة أبى بكر محمد بن خلف
ابن المرزبان . رواية أبى عمر محمد بن العباس
ابن محمد بن زكريا بن حيويه
الخزاعي رحمهم الله [illegible]

[illegible]

كتاب

فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب

تصنيف الشيخ الامام العلامة أبي بكر محمد بن خلف
ابن المرزبان . رواية أبي عمر محمد بن العباس
ابن محمد بن زكريا بن حيويه
الخزاعي رحمهم الله



﴿ عني بنشره ﴾
ابراهيم يوسف
(النساخ بدار الكتب المصرية)

﴿ يطلب من الناشر ومن جميع المكاتب الشهيرة ﴾

مطبعة محمود توفيق بمصر



الحمد لله الذي ميز الانسان ، من الحيوان بالعقل والبيان ، والصلاة والسلام على صفوة العدنان ، سيدنا محمد سيد ولد عدنان ، صلى الله عليه مدى الزمان ، ﴿ أما بعد ﴾ فلما كان بعض بني الانسان يسير سيراً معوجا لا يتفق مع العقل والدين ، مخالفا بذلك أمر رب العالمين ، منزلا نفسه منزلة الحيوان الاعجم ، الذي لا يعقل ولا يفهم .

ولما كان بعض الحيوان له من الصفات الحميدة المشكورة ، والافعال الغريبة المأثورة . ما يؤهله لان يكون في مرتبة بعض بني الانسان مع ما منحهم الله من فصيح البيان . فسبحان من ألهم هذا الحيوان ، وجعله مصاحبا لأهل الكهف في الوديان

فقد رأيت بعد الاطلاع على كتاب « فضل الكلاب . على كثير ممن لبس الثياب » وموافقة كثير من رجال العلم والادب على ما جاء به من الحكم البالغة ، والمواعظ النافعة ، ان أقوم بطبعه خدمة للانسانية والآداب واهدائه لذوى القربى والأصحاب ، عسى ان يكون في نشره عبرة وذكرى عملا بقوله تعالى «فذكر ان نفعت الذكرى » هذا واتماما للفائدة قد اضفت اليه بعض ما عثرت عليه من الموضوعات الخاصة بهذا الحيوان وشرح خصاله المحمودة التي جمعها الامام الشيخ حسن البصري رضى الله عنه و بعض شذرات تتعلق بآراء بعض الفقهاء والادباء فى هذا الحيوان وجعلتها ذيلا لهذا الكتاب والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب

الناشر

ابراهيم يوسف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبه نستعين :

أنبأ الفقيه أبو موسى عيسى بن أبي عيسى القابسي قال أنبأ القاضي أبو علي أبي الحسن بن علي التنوخي قراءة عليه قال حدثنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا بن حيويه الخراز ولفظه علينا في يوم الاربعاء الحادي عشر رجب سنة إحدى وثمانين وثلثمائة أن أبا بكر محمد بن خلف بن المرزبان أخبرهم قال ذكرت أعزك الله زماننا هذا وفساد مودة أهله وخسة أخلاقهم ولؤم طباعهم وأن أبعد الناس سفراً من كان سفره في طلب أخ صالح ومن حاول صاحبا يأمن زلته ويدوم إغتباطه كان كصاحب الطريق الحيران الذي لا يزداد لنفسه إتعابا الا إزداد من غايته بعداً فالامر كما وصفت وقد يروى عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال بعضهم كنا نخاف على الاخوان كثرة المواعيد وشدة الاعتذار ان يخلطوا مواعيدهم بالكذب واعتذارهم بالتزيد فذهب اليوم من يعتذر بالخير ومات من كان يعتذر من الذنب قال لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب

وأخبرنا أبو العباس المبرد قال حدثني بعض مشايخنا قال كنت عند بشر بن الحارث يوما فرأيته مغموماً ما تكلم حتى غربت الشمس ثم رفع رأسه فقال

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر
و بقيت في خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور

وأنشدنا لغيره

ذهب الذين اذا رأوني مقبلا سروا وقالوا مرحباً بالمقبل
وبقي الذين اذا رأوني مقبلا عبسوا وقالوا ليته لم يقبل

وقال آخر

ذهب الناس واستقلوا وصرنا خلفا في أراذل النسناس
في أناس تراهم العين ناساً فاذا خبروا فليسوا بناس

وقال آخر

ذهب الملح من كثير من النا س ومات الذين كانوا ملاحة
وبقي الأسمجون من كل صنف ليت ذا الموت منهم قد أراحه

وقال آخر

ذهب الذين اذا مرضت تجهلوا واذا جهلت عليهم لم يجهلوا
واذا أصبت غنيمة فرحوا بها واذا بخلت عليهم لم يبخلوا

وأنشدني أبو عبد الله السدوسي

ذهب الذين هم الغياث المسبل وبقي الذين هم العذاب المنزل
وتقطعت أرحام أهل زماننا فكأنها خلقت لئلا توصل
الناس متشابهون من كشفته منهم كشفت عن الذي لا يجمل
أما الفقير فحاسد متقطر حسداً وأما ذو الثراء فيبخل

ويظن أن له بكثرة ماله   فضلا عليك وغيره المتفضل

وقال آخر

ذهب الكرام فاصبحوا أمواتا   ورقا تطيره الرياح رفاتا
وتبدلت عرصاتهم من بعدهم   بسوى نبات الصالحين نباتا
وبقيت في دهر أحاذر شره   وأخاف فيه من الطريق بياتا

وقال آخر

وما الناس بالناس الذين عهدتهم   ولا الدار بالدار التي كنت تعرف
وما كل من تهوى يحبك قلبه   ولا كل من صاحبته لك منصف

وقال آخر

ذهب الناس وانقضت دولة المجـ   ـد فكل إلا القليل كلاب
ان من لم يكن على الناس ذئبا   أكلته في ذا الزمان الذئاب
غير أن الوجوه في صور النا   س وأبدانهم عليها الثياب
لست تلقى الا كذوبا بخيلا   بين عينيه للايا ن كتاب

وقال اخر

ذهب الذين فضلهم مكرمة   ولهم إذا قحط الزمان حنان
ذهبوا فليس لهم نظير واحد   أفلا تراهم لا أبالك كانوا
[illegible] أهل الفضائل والنهى   الا فلان [illegible] وفلان

وقال اخر

الذين عهدتهم [illegible]   وبقيت بعد فراقهم وحدي

سلف مضى وبقيت بعدهم وكذاك يذهب من أتى بعدي
تركوا الذي جمعوا لغيرهم وكذاك أتركه لمن بعدي

وقال أبو تمام

فلو رفعت سنات الدهر عنه والقى عن مناكبه الدثار
لعدل قسمة الأيام فينا ولكن دهرنا هذا حمار

ولغيره

ذهب المفضلون والسلف المو فون بالعهد منهم والعقود
ثم خلفت في هباء من النا س أقاسيهم ودهر شديد
فيه ساد الرعاع جبة القلـ ـب والسيد استوى بالمسود
سمع للخنى صم عن الخـ ـير ينادون من مكان بعيد
فلو أن الامور كانت تفادى لفدينا المفقود بالموجود

أنشدنا لعلي بن العباس الرومي

ذهب الذين تهزهم مداحهم هز الكماة أعنة الفرسان
كانوا اذا مدحوا رووا ما فيهم فالاريحية منهم بمكان
والمدح يقدح قلب من هو أهله قدح المواعظ قلب ذي إيمان
فدع اللئام فما ثواب مديحهم الا ثواب عبادة الأوثان
كم قائل لي منهم ومدحته ببدائع مثل الرياض حسان
احسنت ويحك ليس في واغا استحسن الحسنات في ميزان

قال ولقيت اسماعيل بن بلبل يوما وهو راجل فقلت مالي اراك راجلا فقال

ارجلني قلة الكرام وكثرة المال في اللئام
وليس هذا علي وحدي هذا شقاء علي الانام

وسألتني اعزك الله تعالى ان اجمع لك ماجاء فى فضل الكلب على شرار الاخوان ، ومحمود خصاله في السر والاعلان، فقد جمعت مافيه كفايه و بيان، ولست اشك انك اعزك الله عارف بخبر عبد الله بن هلال الكوفى المجنوم صاحب الخاتم وخبر جار له لما سأله ان يكتب كتابا الى ابليس لعنه الله فى حاجة له فان كان العقل يدفع ذلك الخبر فهو مثل حسن يعرف مثله فى الناس فكتب اليه الكتاب واكده غاية التأكيد ومضى واوصل الكتاب الى ابليس فقرأه وقبله ووضعه على عينيه وقال السمع والطاعة لابى محمد فما حاجتك قال لى جار مكرم شديد الميل الىّ شفوق علي وعلى اولادى ان كانت لي حاجة قضاها او احتجت الى قرض اقرضني واسعفني وان غبت خلفني فى اهلي وولدى يبرهم بكل مايجد اليه السبيل وابليس كلما سمع منه يقول هذا حسن وهذا جميل فلما فرغ من وصفه قال فما تحب ان افعل به قال اريد ان تزيل نعمته وتفقره فقد غاظني امره وكثرة ماله وبقاؤه وطول سلامته فصرخ ابليس صرخة لم يسمع مثلها منه قط فاجتمع اليه عفاريته وجنده وقالوا ما الخبر ياسيدهم ومولاهم فقال لهم هل تعلمون ان الله عز وجل خلق خلقا شرا مني ولو فشت فى دهرنا هذا لو جدت مثل

وصاحب الكتاب كثيرا ممن نعاشره اذا لقيك رحب بك واذا غبت عنه اسرف في الغيبة وتلقاك بوجه المحبه ويضمر لك الغش والمسبة وقد علمت ما جاء في الغيبة قال صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والغيبة فانها شر من الزنا ان الرجل ليزني ويتوب فيتوب الله عليه وصاحب الغيبة لا يغفرها الله له حتى يغفرها صاحبها. وعن بشر بن الحارث قال قال الفضيل بن عياض لا يكون الرجل من المتقين حتى يامنه عدوه ولا يخافه صديقه فقال بعضهم ذهب زمن الانس ومن كان يمارض فاحتفظ من صديقك كما تحتفظ من عدوك وقدم الحزم في كل الامور واياك ان تكاشفه سرك فيجاهرك به في وقت الشر انشدني زيد بن علي

احذر مودة مازق ... خلط المرارة بالحلاوة

يحصي الذنوب عليك أيا ... م الصداقة للعداوة

وقيل لبعض الحكماء اي الناس احق ان يتقى قال عدو قوي وسلطان غشوم وصديق مخادع وانشد لدعبل بن على الخزاعى :

عدو راح في ثوب الصديق ... كشربك في الصبوح وفي الغبوق

له وجهان ظاهره ابن عم ... وباطنه ابن زانية عتيق

يسرك مقبلا ويسوءك غيبا ... كذاك تكون أولاد الطريق

لكثير عزه

أنت في معشر اذا غبت عنهم ... جعلوا كلما يزينك شينا

واذا ما رأوك قالوا جميعا ... أنت من أكرم الرجال علينا

أنشدني ابن أبي طاهر الكاتب

حال عما عهدت ريب الزمان　　واستحالت مودة الاخوان

استوي الناس في الحديثة والمكسر فكل لسانه اثنان

واعلم أعزك الله ان الكلب لمن يقتنيه اشفق من الوالد على ولده والاخ الشفيق على أخيه وذلك انه يحرس ربه ويحمي حريمه شاهدا وغائبا ونائما ويقظانا لا يقصر عن ذلك وان جفوه ولا يخذلهم وان خذلوه وروي لنا ان رجلا قال لبعض الحكماء أوصني قال ازهد في الدنيا ولا تنازع فيها أهلها وانصح لله تعالى كنصح الكلب لاهله فانهم يجيعونه ويضربونه ويأبى الا ان يحوطهم نصحا وروى عمر بن شعيب عن أبيه عن جده . قال رآى رسول الله صلي الله عليه وسلم رجلا قتيلا فقال ما شأن هذا الرجل قتيلا فقالوا يارسول الله صلي الله عليك وسلم وثب على غنم أبي زهرة فاخذ شاة فوثب عليه كلب الماشية فقتله فقال صلي الله عليه وسلم قتل نفسه وأضاع دينه وعصي ربه عز وجل وخان اخاه وكان الكلب خيرا من هذا الغادر ثم قال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم أن يحفظ أخاه المسلم في نفسه واهله كحفظ هذا الكلب ماشية أربابه ورأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعرابيا يسوق كلبا فقال ماهذا معك فقال ياامير المؤمنين نعم الصاحب ان أعطيته شكر وان منعته صبر قال عمر نعم الصاحب فاستمسك به ورأى ابن عمر رضي الله عنه مع اعرابي كلبا فقال له ماهذا معك قال من يشكرني ويكتم سري قال فاحتفظ بصاحبك ؛ قال الاحنف بن قيس اذا بصبص الكلب لك فثق بود منه ولا تثق ببصابص الناس فرب مبصبص

خوان قال الشعبي خير خصلة في الكلب انه لا ينافق في محبته ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما كلب أمين خير من انسان خؤون ، حدثنا القاسم بن محمد الرصدي حدثنا محرز بن عون عن رجل عن جعفر بن سليمان قال رأيت مالك بن دينار ومعه كلب فقلت ما هذا قال هذا خير من جليس السوء * أخبرنا ابو عمر ابن خيرة حدثنا ابو القاسم ابن بنت منيع حدثنا محرز بن عون بهذا الحديث حدثني ابن أبي طاهر حدثني حماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي قال قال أبي قال اتيت يوما الفضل بن يحي فصادفته تشرب وبين يديه كلب فقلت له اتنادم كلبا قال نعم يمنعني اذاه ويكف عني اذى سواه ويشكر قليلي ويحرس مبيتي ومقيلي انشدني الحسن بن عبد الوهاب لرجل يذم صديقا له ويمدح كلبا

تخيرت من الاخلا ق ما ينفي اعن الكلب
فان الكلب مجبول على النصرة والذب
وفي يحفظ العهدا ويحمى عرصة الدرب
ويعطيك على اللين ولا يعطى على الضرب
ويشفيك من الغيظ وينجيك من الكرب
فلو أشبهته لم تـ ـك كانونا على القلب

وذكر بعض الرواة قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات الربيع ودفن جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات عامر لزمت الكلاب قبره حتى ماتت عنده وتفرق عنه الاهل والاقارب وروى لنا عن شريك قال كان للاعمش

كلب يتبعه فى الطريق اذا مشي حتى يرجع فقيل له فى ذلك فقال رأيت صبيانا يضربونه ففرقت بينهم وبينه فعرف ذلك لي فشكره فاذا رآني يبصبص لى ويتبعني ولو عاش (ايدك الله) الاعمش الي عصرنا ووقتنا هذا حتى يرى اهل زماننا هذا ويسمع خبر ابي سماعة المعيطى ونظائره لازداد فى كلبه رغبة وله محبة قال هجا أبو سماعة المعيطى خالد بن مالك . وكان اليه محسنا فلما ولي يحي الوزارة دخل اليه ابو سماعة فيمن دخل من المهنئين فقال أنشدنى الأبيات التى قلتها فقال ماهي قال قولك

زرت يحي وخالدا مخلصا للـ ـه ديني فاستصغروا بعض شاني

فلو أني الحدث فى الله يوما أو لو انى عبدت مايعبد ان

مااستخفا فيما اظن بشاني ولا صبحت منهما بمكانى

ان شكلى وشكل من جحد الله واياته لمختلفان

قال ابو سماعة لم اعرف هذا الشعر ولا من قاله قال له يحي مااملك صدقة ان كنت تعرف من قالها فحلف فقال يحي وامرأتك طالق فحلف فاقبل يحي على القسانى ومنصور بن زياد والاشعثى ومحمد بن محمد العبدى وكانوا حضورا فى المجلس فقال ما حسبنا الا وقد احتجنا الى ان نجدد لابى سماعة منزلا وآلة وحرما ومتاعا ياغلام ادفع له عشرة آلاف درهم وتخافيه عشرة اثواب فدفع اليه فلما خرج تلقته أصحابه يهنئونه ويسئلونه عن امره فقال ماعسيت ان أقول الا انه ابن زانية ابي الا كرما فبلغت يحي كلمته من ساعته فامر به فحضر فقال له ياابا سماعة لم تعرف فى هجائنا ولم تعرف فى شتمنا

[illegible]

[illegible] لكنا نقول

اذا ما المرء لم يخش بظفر ... ولم يوجد له ان عض ناب

رمى فيه الشيزة من يظلمه ... وذل من تراثه الصعاب

قال ابو سماعة كلا ايها الوزير ولكنه كما قال

أيبلغ المجد أقوام وان شرفوا ... حتى يذلوا وان عزوا لاقوام

و يشتموا فترى الالوان مسفرة ... لاصفح ذل ولكن صفح أحلام

فتبسم يحيي وقال إنا عذرناك وعلمنا أنك لن تدع مساوي شيمك ولؤم طبعك فلا أعدمك الله ما جبلك عليه من مذموم اخلاقك ثم تمثل قائلا

متى لم تتسع أخلاق قوم ... يضق بهم الفسيح من البلاد

اذا ما المرء لم يخلق لبيبا ... فليس اللب عن قدم الولاد

ثم قال هو والله كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه المؤمن لا يشفي غيظه ثم أن أبا سماعة هجا بعد ذلك سليمان بن أبي جعفر وكان اليه محسناً فأمر به الرشيد بحلق رأسه ولحيته ومثل أبي سماعة كثير كرهنا أن نطول الكتاب بذكرهم وروي عن بعضهم أنه قال الناس في هذا الزمان خنازير فاذا رأيتم كلبا فتمسكوا به فانه خير من أناس هذا الزمان

قال الشاعر

اشدد يديك بكلب ان ظفرت به ... فاكثر الناس قد صاروا خنازيرا

أنشدني أبو العباس الأزدي

لكلب الناس إن فكرت فيهم أضر عليك من كلب الكلاب

لأن الكلب تخسؤه فيخسا وكلب الناس يربض للمثاب

وإن الكلب لا يؤذي جليسا وأنت الدهر من ذا في عذاب

حدثنا أحمد بن منصور عن أبيه عن الاصمعي قال حضرت بعض الأعراب الوفاة وكلب في جانب خيمته فقال لأكبر ولده أوصيك خيرا به قال له صنائع لا أزال أحمدها يدل ضيفي على في غسق الليل اذ النار نام موقدها

أخبرني أبوا الفضل أحمد بن أبي طاهر قال أخبرني بعض الادباء قال كان لابراهيم بن هرمة كلاب اذا أبصرت الأضياف بشت لهم ولم تنبح وتبصبصت باذنابها بين أيديهم فقال يمدحها

ويدل ضيفي في الظلام إذا سرى إيقاد ناري أو نباح كلاب

حتى اذا واجهنه وعرفنه فديته بيصابص الأذناب

وجعلن مما قد عرفن يقدنه ويكدن ان ينطقن بالترحاب

قال سمعت بعض الملوك وهو يركض خلف كلب وقد دنا من ظبي وهو يقول من الفرح ايه فدتك نفسي وقال أبو النواس

مفديات ومحمياتها مسميات ومعلماتها

وله أيضا

اتعب كلبا أهله في كده قد سعدت جدودهم بجده

فكل خير عندهم من عنده يظل مولاه له كعبده

يبيت أدنى صاحب من مهده　　وان عدا جلله ببرده
ذي غرة محجل بزنده　　تلذ منه العين حسن قده
يحسن شدقه وطول خده　　تلقي الظباء عنتا من طرده
يالك من كلب نسيج وحده

وله في هذا المعنى أشياء حسان ومعان مختارة ومما يدل على قدر الكلب كثرة ما يجري على السنة الناس بالخير والشر والمدح والذم حتى قد ذكر في القرآن وفي الحديث وفي الأشعار والامثال حتى استعمل على طريق الفأل والطيرة والاشتقاقات للاسماء فمن ذلك أكلب بن ربيعة وكلاب بن ربيعة ومكلب بن ربيعة ابن نزار وكليب بن يربوع ومكالب بن ربيعة بن قذار وكلاب ابن يربوع ومثل هذا كثير والكلب أيدك الله منافعه كثيرة فاضلة على مضاره بل هي غامرة لها وغالبة عليها ولم تزل القضاة والفقهاء والعباد والولاة والنساك الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر لا ينكرون اتخاذها في دورهم مع ذلك يشاهدونها في دور الملوك فلو علموا أن ذلك يكره لتكلموا ونهوا عن اتخاذها بل عندهم أنهم اذا قتلوا الكلب كان فيه عقوبة وان من كان أمر بقتلها في قديم الزمان انما كان لمعنى ولعلة وان هذه الكلاب بمعزل عن تلك، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من لا يعرف الامور يقول ان الكلب من السباع ولو كان كذلك ما ألف الناس واستوحش من السباع وكره الغياض والف الدور واستوحش من البراري وجانب القفار والف المجالس والديار وكيف لا يكون كذلك وهو لا يرضي لنفسه بالنوم والربوض على الارض وهو لا يرى بساطا ولا وسادة الاعلاها وجلس عليها

وايضا فهو لا يجد الى كل موضع جليل نظيف سبيلا فيقصر عنه وتراه متخيرا ابداً ارفع المواضع فى المجلس وما يصونه صاحبه قلت والكلب يعرف صاحبه والسنور ويعرفان اسماهما ومواضع منازلهما ويألفان موطنهما واذا طردا رجعا واذا أجيعا صبرا واذا اهينا احتملا وللكلب ايضا من الفضائل اتيانه وجه صاحبه ونظره اليه فى عينه وفى وجهه وحبه له ودنوه منه حتي ربما لاعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤلم ولا يؤثر وله تلك الأنياب التي لو أنشبها فى الشجر لأثرت قال بعض الشعراء

أيها الشانىء الكلاب أصخ لى　　منك سمعا ولا تكونن حبسا
ان فى الكلب فاعلمن خصالا　　من شريف الفعال يعددن خمسا
حفظ من كان محسنا ووفاه　　للذى يتخذه حربا وحرسا
واتباع لرحله واذا ما　　صار نطق الشجاع للخوف همسا
وهو عون لنائح من بعيد　　مستجيرا بقربه حين أمسا

قال أبو بكر الصديق ان الرجل فى البادية اذا ضل الطريق وهاله الليل نبح نباح الكلاب لتنبح كلاب الحي فيتبع أصواتها حتى يصير الى الحي

وقال اخر

أن قوما رأوك شبها لكلب　　لا رأوا للظلام صبحا مضيا
انت لا تحفظ الزمام لخاق　　وهو يرعى الزمام رعيا وفيا
يشكر النذر (١) من كريم فعال　　اخر الدهر لاتراه نسيا

---

(١) الشيء اليسير

[illegible]

[illegible] اذا راك [illegible]

وقد انشدني ابو عبيدة لبعض الشعراء

يعرج عنه جاره وشقيقه ... وينبش فيه كلبه وهو ضاربه

قال ابو عبيدة قيل هذا الشعر في رجل من اهل البصرة خرج الى الجبانة ينتظر ركابه فاتبعه كلب له فطرده وضربه وكره ان يتبعه ورماه بحجر فادماه فابى الكلب الا ان يتبعه فلما صار الى الموضع وثب به قوم كانت لهم عنده طائلة وكان معه جار له واخ فهربا عنه وتركاه واسلماه بقرح جرحات كثيرة ورمي به في بئر وحثوا عليه بالتراب حتى واروه ولم يشكوا في موته والكلب مع هذا يهر عليهم وهم يرجمونه فلما انصرفوا اتى الكلب الى راس البئر فلم يزل يعوي ويبحث بالتراب بمخالبه حتى ظهر رأس صاحبه وفيه نفس يتردد وقد كان اشرف على التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه ووصل اليه الروح فبينا هو كذلك اذ مر اناس فانكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبرا فجاؤا فاذا هم بالرجل على تلك الحال فاستخرجوه حيا وحملوه الى اهله فزعم ابو عبيدة أن ذلك الموضع يدعى بئر الكلب وهذا الامر يدل على وفاء طبعي والف غريزي ومحاماة شديدة وعلى معرفة وصبر وكرم وغناء عجيب ومنفعة تفوق المنافع وحدثني عبد الله بن محمد الكاتب قال حدثني ابي عن محمد ابن خلاد قال قدم رجل على بعض السلاطين وكان معه حاكم ارمينية منصرفا الى منزله فمر في طريقه بمقبرة فاذا قبر عليه قبة مبنية مكتوب عليها هذا قبر الكلب فمن احب ان

[illegible] للبيض الهرمية كذا وكذا فان فيها من جمجمة [illegible] الرجل عن

القرية فدلوه عليها فقصدتها وسألت اهلها فدلوه على شيخ فبعث اليه واحضره

واذا شيخ قد جاوز المائة سنة فسأله فقال ثم كان في هذه الناحية ملك عظيم

الشأن وكان مشهورا بالنزهة والصيد والسفر وكان له كلب قد رباه وسماه باسم

وكان لايفارقه حيث كان فاذا كان وقت غذائه وعشائه اطعمه مما يأكل فخرج

يوما الي بعض منتزهاته وقال لبعض غلمانه قل للطباخ يصلح لنا ثريدة لبن فقصد

اشتهيتها فاصلحوها ومضى الى منتزهاته فوجه الطباخ فجاء بلبن وصنع له ثريدة

عظيمة ونسى ان يغطيها بشيء واشتغل بطبخ شيء آخر فخرج من بعض شقوق

الحيطان افعى فكرع من ذلك اللبن ومج في الثريدة من سمه والكلب رابض

يرى ذلك كله ولو كان له في الافعى حيلة لمنعها ولكن لاحيلة للكلب في الافعى

والحية وكان عند الملك جارية خرساء زمنا فقد رأت ماصنع الافعي ووافى الملك

من الصيد في اخر النهار فقال ياغلمان اول ما تقدمون الى الثريدة بين يديه اومات

الخرساء اليهم فلم يفهموا ماتقول ونبح الكلب وصاح فلم يلتفتوا اليه والح في

الصياح ليعلمهم مراده فيه ثم رمي اليه بما كان يرمي اليه في كل يوم فلم يقربه ولج

في الصياح فقال لغلمانه نحوه عنا فان له قصة ومد يده الي اللبن فلما رآه الكلب

تريد ان يأكل وثب الى وسط المائدة فادخل فمه في اللبن وكرع منه فسقط

ميتا وتناثر لحمه . وبقى الملك متعجبا منه ومن فعله فأومأت الخرساء اليهم فعرفوا

مرادها بما صنع الكلب فقال الملك لندمائه وحاشيته أن شيئا قد فداني بنفسه لحقيق بالمكافاة وما يحمله ويدفنه غيري ودفنه بين أبيه وأمه وبنى عليه قبة وكتب عليها ماقرأت وهذا ما كان من خبره ، أخبرني أبو العلاء بن يوسف القاضي قال حدثني شيخ كان مسنا صدوقا أنه حج سنة من السنين قال وبرزنا أحمالنا الي الياسرية وجلسنا على قراح نتغدى وكلب رابض بجوارنا فرمينا اليه من بعض مانا كل ثم ارتحلنا ونزلنا بنهر الملك فلما قدمنا السفرة اذ الكلب بعينه رابض بجوارنا كاليوم الاول فقلت للغلمان قد تبعنا هـذا الكلب وقد وجب حقه علينا فتعهدوه وتقض الغلمان السفرة بين يديه فا كل ولم يزل تابعا لنا من منزل الي منزل على تلك الحال لايقدر أحد أن يقرب جمالنا ولا محاملنا الا صاح ونبح فكنا قد أمنا من سلال الي مكة وعزمنا على الخروج في عمل الى اليمن فكان معنا الى ارض فيا ورجعنا الى مدينة السلام وهو معنا ، ذكر أبو عبد الله عن أبي عبيدة النحوي وأبى اليقظان سحيم بن حفص وأبى الحسن علي بن محمد بن المدايني عن محمد بن حفص بن سلمة بن محارب وقد حدثنا بهذا الحديث أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا باسناد ذكره وهو حديث مشهور أن الطاعون الجارف أتى على اهل دار فلم يشك أحد من أهل المحلة أنه لم يبق فيها صغير ولا كبير وكان قد بقي فى الدار صبي رضيع صغير يحبو ولا يقوم فعمد من بقي من أهل تلك المحلة الى باب الدار فسدوه فلما كان بعد ذلك باشهر تحول اليها بعض ورثة القوم فلما فتح الباب وأفضى الى عرصة الدار اذا هو بصبي يلعب مع جرو كلبة كانت لاصحاب الدار فلما رآها الصبي حبا اليها

فأمسكته من لبنها فعلموا أن الصبي بقي في الدار وصار منسيا واشتد جوعه ورآى جرو الكلبة يرضع فعطف عليها فلما سقته مرة أدامت له وأدام لها الطلب

أخبرني علي بن محمد قال حدثني بن الحسين بن شدد قال ولاني القسم خلافة أحمد بن ميمون بنيسابور فنزلت في بعض منازلها فوجدت في جواري جنديا من أصحابه يعرف بنسيم كان برسم تنظيف غلامه واذا كلب له يخرج بخروجه ويدخل بدخوله واذا جلس على بابه فربه وغطاه بدواج كان عليه فسألت الراسي عن محل الغلام وكيف يقنع الامير منه بدخول الكلب عليه ويرضى منه بذلك وليس بكلب صيد قال أبو الوايد سله عن حديثه فانه يخبرك بشأنه فأحضرت الغلام وسألته عن السبب الذي استحق به هذه المنزلة منه فقال هذا خلصني بعد الله عز وجل من أمر عظيم فاستبشعت هذا القول منه وانكرته عليه فقال لي اسمع حديثه ذلك تعذرني كان يصحبني رجل من أهل البصرة يقال له محمد بن بكر لا يفارقني يواكلني ويباشرني على النبيذ وغيره منذ سنين فخرجنا أهل الدينور فلما رجعنا وقربنا من منزلنا كان في وسطي هميان فيه جملة دنانير ومعي متاع كثير أخذته من الغنيمة قد وقف عليه بأسره فنزلنا الى موضع فأكلنا وشربنا فلما عمل الشراب عمد الي فشد يدي الى رجلي واوثقني كتافا ورمى بي في واد واخذ كل ما معي وتركني ومضى وآيست من الحياة وقعد هذا الكلب معي ثم تركني ومضى فما كان بأسرع من أن وافاني ومعه رغيف فطرحه بين يدي فأكلته ولم أزل أحبو الى موضع فيه ماء فشربت منه ولم يزل الكلب معي باقي ليلي يعوي الى أن أصبحت فحملتني عيناي وفقدت

الكلب ما كان [illegible] وطالبته [illegible] في

اليوم الأول فلما كان في اليوم الثالث غاب عني فلما [illegible] فلم

أره إلا [illegible] ومعه الرغيف فرمى به إلي فما استتم أكله إلا وأبي على رأسي

فبكى فقال وما أصنع هاهنا وما هي قصتك وترك شغل كتابي وأخرجني فقلت

له من أين علمت مكاني ومن دلك علي فقال كان الكلب يأتينا في كل يوم

فنطرح له الرغيف على رسمه فلا يأكله وقد كان يمك فأنكرنا رجوعه ولست

أنت معه فكان يحمل الرغيف بفيه ولا يذوقه ويخرج ويعد فأنكرنا أمره

فأتبعته حتى وقفت عليك فهذا ما كان من خبري وخبر الكلب فهو عندي

أعظم مقدارا من الأهل والقرابة قال ورأيت أثر الكتاف في رقبته قد أثر أثرا

قبيحا ، وحدثني أبو عبد الله قال حدثني أبو الحسين محمد بن الحسين بن شداد

قال قصدت دير مخارق الي عبد الله بن الطبري النصرانى التي كانت يأتى

بالنزل للمعتضد بالله فسألته احضار وكيلاله يقال له ابراهيم بن داران وطالبته

باحضار الادلاء لمساحة قرية تعرف بباصيرى السفلى فقال لى يا سيدي قد

وجهت فى ذلك فقلت له أنا على الطريق جالس وما اجتاز بى أحد فقال لى أما

رأيت الكلب الذى كان بين أيدينا قد وجهت به فغلظ ذلك من قوله ونلت

من عرضه وأمرت بما أنا أستغفر الله عز وجل منه فقال ان لم يحضر القوم

الساعة فأنت من دمي فى حل فما مكث بعد هذا القول الا ساعة حتى وافى

القوم مسرعين والكلب بين أيديهم فسألته كيف يحمله الرسالة فقال أشد فى

عنقه رقعة بما أحتاج اليه وأطرحه على المحجة فيقصد القوم وقد عرفوا الخبر

يعرفون الرقية فيستاذنون بما فيها، وحكى لص تائب قال دخلت مدينة قد ذكروها لي فجعلت أطلب شيئا أسرقه فلم أصب ووقعت عيني على صيرفي موسر فما زلت احتال حتى سرقت كيسا له وانسللت فما جزت غير بعيد اذا بعجوز معها كلب قد وقعت على صدري تبوسني وتلزمني وتقول يا بني فديتك والكلب يبصبص ويلوذ بي ووقف الناس ينظرون الينا وجعلت المرأة تقول بالله انظروا الي الكلب كيف قد عرفه فعجب الناس من ذلك وشككت أنا في نفسي وقلت لعلها أرضعتني وأنا لا أعرفها وقالت سر معي الي البيت أقم عندي فلا تفارقني حتي مضيت معها الى بيتها واذا عندها جماعة احداث يشربون وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين فرحبوا بي وقربوني وأجلسوني معهم ورأيت لهم بزة حسنة فوضعت عيني عليها وجعلت أسقيهم ويشربون وأرفق بنفسي الى أن ناموا ونام كل من في الدار فقمت وكورت ما عندهم وذهبت أخرج فوثب على الكلب وثبة الاسد وصاح وجعل يتراجع وينبح الى أن انتبه من كان نائما فخجلت واستحييت فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس وفعلت أنا أيضا بهم مثل ذلك وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب الى الليل فما أمكنني فيه حيلة فلما ناموا رمت الذي رمته فاذا الكلب قد عارضني مثل ما عارضني به فجعلت أحتال ثلاث ليال فلما آيست طلبت الخلاص منهم باذنهم وقلت أتأذنون لي أعزكم الله فاني على وفاز فقالوا الامر الي العجوز فاستاذنتها فقالت هات ما معك الذي أخذته من الصيرفي وامض حيث شئت ولا تقم في هذه المدينة لانه لا يتهيأ لاحد يعمل معي عملا فاخذت الكيس وأخرجتني

ووجدت أنا أيضا مناي أن أسلم ممن يدها فكان قصار القول أن أطلب منها نفقة فدفعت الي نفقة وخرجت معي حتى أخرجتني عن المدينة والكلب مصاحبي جزت حدود المدينة ووقفت ومضيت والكلب يتبعني حتى بعدت ثم تراجع ينظر الى ويلتفت وأنا أنظر اليه حتى غاب عني ، أخبرني بعض الشيوخ من أهل الجبل قال كنت أنا مع جماعة خارجين الى اصبهان فلما صرنا الى بعض الطريق مررنا بخان قديم خراب ليس فيه أحد وإذا صوت كلب ينبح واذا حركة شديدة فدخلنا بأجمعنا الخان فاذا نحن برجل من أصحابنا نعرفه من الفيوج كان معه كلب لايفارقه حيث كان واذا بعض المبنجين قد وقع عليه فكان الفيج وطنا فلما رأى ان حيلته ليست تنفذ له عليه طرح في عنقه وترا ليخنقه به فلما رأى الكلب ذلك ثار إلى المبنج فخمش وجهه وعض قفاه وطرح منه قطعة لحم فسقط المبنج مغشيا عليه فخلصنا من عنق صاحبنا الوتر وكان قد أشرف على التلف وقبضنا على المبنج فكتفناه بوتره ودفعناه إلى السلطان ، وحدثني ابراهيم بن برقان قال كان في جوارنا رجل من أهل اصبهان يعرف بالخصيب ومعه كلب له جاء به من الجبل فوقع بينه وبين جاره خصومة الي ن تواثبا فلما رأى الكلب ذلك وثب على الرجل الذي واثب صاحبه فوضع مخاليبا في احدعينيه وعض قفاه حتى رأيت الرجل قد غشي عليه ودماؤه تجرى على الارض قال بعض من ينم الكلاب الناس ينامون بالليل الذى جعله الله تعالى مسكنا ويتصرفون ويبصرون في النهار الذى جعله الله عز وجل مسرحا وهم على ضد ذلك فاحتج من يرد عليه فقال ان سهرهم بالليل ونومهم بالنهار خصلة ملوكية ولو كان غيرذلك كان للملوك به أولي

وانما انتباهها بالليل لان الليل ينتشر فيه اللصوص ويكثر السلق والنهوب والسرق ممن اذا أفضي الي منزل قوم لم يرض الا بالقتل وركوب السؤة ونهب المال فهى تحرس من هذه وتنبه عليه صاحبه أنشدنى بعض الادباء

تاه قلبي مني واين مني قلب ان رد السرور ياقوم صعب
شردني خيانة من صديق أنا مستسلم له وهو حرب
مضمر للنفاق والقلب فيه مبطن بغضه وباديه حب
قلت يوما له وان مضى منــــه فقال آنى بها أنت كلب
قال للمزح قلت ذا أم لثلبي قلت للثلب قال مافيه ثلب
شيمة الكلب حفظه لولى وعن الحى فى دجا الليل ذب
يحفظ الجار للجوار ويمسى ساهر المقلتين يحنوه سغب
يرقد النائمون أمنا ويمسي خائفا هلكهم يحاكيه صب
وترى الكلب فى المهامة غوثا ويجيب الضيف والنار تخبو
وتراه ينابح الكلب خوفا والى الصوت في دجا الليل يحبو
فلماذا انحسته الحظ قل لي لم تشن حسنه وما فيه سب

انشدني بعض المدنيين يصف كلبا له بالشدة يقال موق

ياموق لاذقت بوس العيش ياموق ولامنيت بشرب فيه ترنيق
ذو هامة كرحي بئر مململة وبرثن فيه للاخوان تخريق
صياته غضب ونبحة كلب وعنده سغب مافيه ترفيق
المقرنيته والموت كرته مجتاز ساحته بالشر مهروق

والسيف والرمح ادنى منه بادرة | والنبل أهون منه والمزاريق
والترك والديلم المحذور بأسهما | والزنج من بعد والروم البطاريق
جماعة القوم ان مروا بساحته | فعنده لاجتماع القوم تفريق
أو مر بجيش عليه كلهم بطل | اذا أناخت بهم من خوفه النوق

قلت لصديق لي تعرف في هذا المعنى شيئا قال نعم وأنشدني

قال لي أحمد وأحمد كهل | ليس في الناس مثله اثنان
حسن خلق وحسن خُلق وعلم | بارع زانه بنطق لسان
هو في الصين زينة وجمال | ولدى الشرب زينة البستان
واذا ما المرء ضاق بالهم صدرا | فرج الهم أحمد المرزبان
ياخليلي حفظت في الكلاب شيئا | قلت في الذم قال لي عظم شان
قال لي خذ أخي فاظهر مقالا | قد حوى فيه من ظريف المعاني
في مديح الكلاب مع ذم قوم | فأراني البيان قبل البيان
قال اني أراه أوفى ذماما | من كثير عرفت في الاخوان
وامين المغيب يلقي بوجه | ولقوم من الورى وجهان
شاكرا للقليل غير كفور | وكفور الكثير للخلان
حارسا في الحريم يمنع في الليـــل عن القوم ساهر الاجفان
مثل ليث العرين تلقاه لما | حل في جوف جيشه شيلان
عارف بالجميل يغضي حياء | حين تلقاه للمقى عينان
صابر مانع حفوظ ألوف | دافع مانع بغير امتنان

اين الخلق مسطقا لحيم　　ولا عدله كمد السنان

وأرى الناس غير من أنت منهم　　خلقوا كالذباب والثيران

وممن أفسد الصديق بحرمته فاقام الكلب بنصرته ما أخبرونا عن أبي الحسن المدايني يرفعه عن عمرو بن شمر قال كان للحارث بن صعصعه ندمان لا يفارقهم شديد المحبة لهم فعبث أحدهم بزوجته فراسلها وكان للحارث كلب رباه فخرج الحارث في بعض منتزهاته ومعه ندماؤه وتخلف عنه ذلك الرجل فلما بعد الحارث عن منزله جاء نديمه الى زوجته فاقام عندها يأكل ويشرب فلما سكرا واضطجعا ورأي الكلب انه قد ثار على بطنها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما رجع الحارث الي منزله ونظر اليهما عرف القصة ووقف ندماؤه على ذلك وانشأ يقول

ومازال يرعي ذمتي ويحوطني　　ويحفظ عرسى والخليل يخون

فواعجبا للخل يهتك حرمتي　　ويا عجبا للكلب كيف يصون

قال وهجر من كان يعاشره واتخذ كلبه نديما وصاحبا فتحدث به العرب وأنشأ يقول

فللكلب خير من خليل يخونني　　وينكح عرسى بعد وقت رحيلي

سأجعل كلبي ما حييت منادمي　　وامنحه ودى وصفو خليلي

وذكر ابن داب قال كان للحسن بن مالك الغنوى أخوان وندمان فافسد بعضهم محرما له وكان له على باب داره كلب قد رباه فجاء الرجل يوما الى منزل الحسن فدخل الى امرأته فقالت له قد بعد فهل لك في جلسة يسر

بعضنا ببعض فيها فقال نعم فأ كلاوشربا ووقع عليها فلما علاها وثب الكلب عليهما فقتلهما فلما جاء الحسن ورآهما على تلك الحال تبين مافعلا فانشأ يقول

قدامضي خليلي بعد صفو مودتي صربنا بدار الذل اسلمه الغدر

يطي، حرمتي بعد الاخاء وخانني فباشره كلبي وقد ضمه القبر

قال الاصمعي كان لمالك بن الوليد أصدقاء لايفارقهم ولايصبرعنهم فارسل أحدهم الي زوجته فاجابته وجاء ليلة واستخفي في بعض دور مالك عند امرأته ومالك لايعلم بشيء من ذلك فلما أخذ في شأنها وثب كلب لمالك عليهما فقتلهما ومالك لايعقل من السكر فلما أفاق وقف عليهما وأنشأ يقول

كل كلب حفظته لك أرعى مابقى لو بقى ليوم التناد

من خليل يخون في النفس والما ل وفى المرء بعدصفو الوداد

(وقال اخر)

واذاقلت ويك للكلب اخسأ لحظتني عيناك لحظة تهمة

أترى انى حسبتك كلبا أنت عنه من أبعد الناس همة

ذكروا أن صعصعة بن خالد كان له صديق لا يفارقه فجاء يوما فراه قتيلا على فراشه مع امرأته فأيقن بخيانتها فقال

الغدر شيمة كل نذل سفلة والكلب يحفظ عهدك الدهرا

فدع اللئام وكن لكلبك حافظا فلتأمن الغدر والمكرا

وحدثني بعض أصدقائي قال خرجت ليلة وأنا سكران فقصدت بعض البساتين لامر من الامور ومعي كلبان كنت ربيتهما ومعي عصا فحماتني عيني فاذا

الـكلبان ينبحان ويصيحان فانتبهت بـ.ـياحهما فلم أر شيئا انكره فضربتهما وطردتهما ونمت ثم عاودا الصياح والنباح فانبهاني فلم أر شيئا أنكره أيضا فوثبت اليهما وطردتهما فما أحسست الا وقد سقطا على يحركاني بأيديهما وأرجلهما كما يحرك اليقظان النائم لامر هائل فوثبت فاذا بأسود سالخ قد قرب مني فوثبت اليه فقتلته وانصرفت الى منزلي فـكان الكلبان بعد الله عز وجل سببا لخلاصي

ويروى انه كان لميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كلب يقال له مسمار وكانت اذا حجت خرجت به معها فليس يطمع أحد بالقرب من رحلها مع مسمار فاذا رجعت جعلته في بني جديله وانفقت عليه فدامات قيل لها مات مسمار فبكت وقالت فجعت بمسمار

وحدثني ابو محمد عبد الرحمن بن عبد الله قال حدثنا يحيى بن أيوب عن يونس بن زيد عن أبي رافع قال كانت للزهري كلبة صيد فكان يطلب لها الفحول يلتمس نسلها قال وكان رجل يشرب عند قوم فرآى منهم رجلا يلاحظ امرأته فقال

كل هنيأ وما شربت مريئاً ثم قم صاغرا فغير كريم

لا احب النديم يومض بالعين اذ ما خلى بعرس النديم

وحدثني صديق لي أنه كان له صديق ماتت امرأته وخلفت صبيا وكان له كلب قد رباه فترك يوما ولده في الدار مع الكلب وخرج لبعض الحوائج وعاد بعد ساعة فرأي الكلب في الدهليز وهو ملوث بالدم وجهه وبوزه ذاه فظن الرجل انه قد قتل ابنه واكله فعمد الي الكلب فقتله قبل أن يدخل الدار ثم دخل الدار فوجد الصبي نائما في مهده والي جانبه بقية أفعى قد قتله الـكلب وأ كل بعضه فندم الرجل على قتله أشد ندامة ودفن الكلب والله أعلم وليكن هذا

اخر ما اردنا ايراده في الرسالة والحمد لله أولا واخرا وباطنا وظاهرا
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿تم بحمد الله وعونه﴾

الخاتمة

خصال الكلب المحمودة

تنسب للامام الحسن البصري

قال الامام الحسن البصرى رضي الله تبارك وتعالى عنه ، في الكلب عشر خصال محمودة وكذلك ينبغى أن تكون فى كل مؤمن . الاولى أن لايزال جائعا وذلك لعله من دأب الصالحين . الثانية انه ليس له مكان يعرف وذلك من علامات المتوكلين . الثالثة انه لاينام من الليل الا قليلا وذلك من صفات المحسنين . الرابعة انه اذا مات لا يكون له ميراث وذلك من أخلاق الزاهدين الخامسة أنه لايترك صاحبه ولو جفاه وضربه وذلك من صفات المريدين .
السادسة انه يرضي من الدنيا بادنى مكان وذلك من علامات المتواضعين .
السابعة انه اذا طرده أحد من مكان وانصرف عنه عاد اليه وذلك من علامات الراضين . الثامنة انه اذا ضرب وطرد ثم دعى أجاب بلا حقد وذلك من صفات الخاضعين . التاسعة انه اذا حضر شيء للأكل جلس من بعيد وذلك من صفات المساكين . العاشرة انه اذا رحل من مكان لا يرحل ومعه شيء يلتفت اليه وذلك من صفات المتجردين

وفاء الكلب

للكاتب الاجتماعي

رمزى نظيم

أصبح الغدر لابن آدم دينا ... وله فيه مذهب وكتاب
وعجيب أن تعرف الناس بالغدر ... وتختص بالوفاء الكلاب

شارك الناس كثيرمن أنواع الحيوان فى صفاتهم وطباعهم ، فاشتهر الاسد بالحياء ، والثعلب بالتحيل والقرد بالتقليد ، والهر بالتلصص ، والذئب بالحرص والكلب بالوفاء وهكذا — ووفاء الكلب لكل من أحسن اليه ولو مرة فى حياته — وخصيصا لمن يكرم عشرته — مشتهر بين الناس ؟ والحكاية التى أقصها تمثل أرهب صور الوفاء وأجلها وقعا من النفوس

حدثنى صديقي فقال — ان فى هيكل (الكرنك) الفخم ، وبين تلك تلك الآثار الخالدة بصعيد مصر ، يسكن الآن رمز من الثعابين والحيات ، تروح وتغدو على أعين حراس الآثار وتنظر اليهم اذا مرت بهم نظرات من تمر من طريق مخوف ، ولكنه اعتاده فاطمأن اليه ، وأبقى على شيء من الحذر عدة الطوارىء

وكأن تلك الحيات وهي تدل فى زحفها تشعر بأنها نزلت منازل الفراعنة الاقدمين واحتلت هيا كلهم العظيمة التى أودعوها مهارة صناعهم وبراعة مهندسيهم ، وقد غرر بها أنها تستطيع أن تنفث سمومها القتالة في وجه من يناوئها العداء ، ويحاول جلاءها عن منازلها المقدسة

ورأى أحد حراس الهيكل (وكان حديث العهد بالحراسة) ثعبانا هائلا فوق أحد الشرفات فسدد اليه النار ، فلحظه الثعبان وسر عان ما حاد عنها ! وأخطأته الرمية ، وانصرف الحارث فى المساء الى سكنه بجوار الهيكل ، ورد عليه الباب ولم يكن يؤنسه فى وحشته بالليل غير كلب وفى رباه صغير فلزمه لزوم الصديق الامين ، وكان كلما رقد سيده فى فراشه ، يرقد هو تحت سريره ، مستيقظا لكل حركة غريبة تحدث فى الغرفة ، وتكدر صفاء سكينتها

وفى تلك الليلة ، نام الحارس نوماً عميقاً ، وسمع الكلب حركة غريبة تحت باب الحجرة ، فأرسل ببصره الحاد فوجد ثعباناً يزحف اليها ، فأخذ ينبح نبحاً هادئاً لطيفاً لايقاظ سيده بغير أن يزعجه ، وتلك نهاية الوداعة والحنو ، ولكن سيده أثرت فيه متاعب النهار ، ولو خر فوق رأسه السقف لآثر ان يذهب الى الآخرة على ان يستيقظ من نومه الحلو وراحته الناعمة

ودنا الثعبان من سرير الحارس يريد الانتقام منه ، فوقف الكلب فى سبيله وبصبص بذنبه ، ورفع الثعبان رأسه ، والتهبت عيناهما بنار الحقد وتطاير شرر الغضب منهما ، ونشب العراك بينهما ، فلدغه الثعبان ، وانطوى حول جسده حلقات متصلة وانشب الكلب انيابه فى جسده ، ولم يشأ أن يتركه ؛ مخافة ان يموت قبله فيغدر الثعبان بسيده ، ثم أخذ يودع الحياة وينظر الي الحارس نظرات حنو وانعطاف ، وهو راقد في سريره كأنه يقول له نم مطمئناً واقطف ازاهير احلامك المفرحة ، فقد انتقمت لك ، وذهبت فداءك ، ثم لمع نور فى سماء الغرفة هو سر حياتهما وخر الاثنان صريعين ، وأبرد الموت

حرارة الانتقام منهما وضم بينهما كأنهما محبان معتنقان

واستيقظ الحارس فى الصباح ، فوجدهما على تلك الصورة الرهيبة ، ووجدا عينا كلبه المسكين متجهتين الي سريره جامدتين فى محجريهما ، ولم يعد يلمع فيهما سناء ذلك الحب الطاهر ، ونور ذلك الاخلاص المبين وعرف ان هذا الثعبان هو الذى أطلق عليه غدارته بالأمس ، فانهلت دممت شكر وأسف حارة علي جثة كلبه الوفى الصريع ، فكانت (كوسام الشرف) الذى تعلقه الحكومات على صدر الجندي الشجاع الذي يظهر بلاء فى ساحة القتال ، ويروح شهيداً ، ولم يستنكف الحارس ان تقدم فزود (كلبه الوفى) بقبلة بين عينيه

وشهد كثير من الناس صورة ذلك الصراع العجيب ، فضربوه مثلا (للوفاء وحب الانتقام)

(وقال أحمد افندي محفوظ الشاعر يمدح كلبا)

تماض الوفاء وعز فى الانسان وأراه بين طبائع الحيوان
فالكلب يحمل للصديق مودة بيضاء يحفظها مدى الأزمان
لا ينمحي عند الشدائد حلوها أو تنتهي بطوارق الحدثان
سيان فى القصر المشيد وفاؤها أو بين متربة بدار هوان

﴿ الكلب فى نظر الفقهاء ﴾

الكلاب كلها نجسة المعلمة وغيرها الصغير والكبير . وبه قال الاوزاعي وأبو حنيفة وأحمد بن حنبل واسحاق وأبو ثور وأبو عبيدة ولا فرق بين الكلب المأذون فى اقتنائه وغيره ولا بين كلب البدوي والحضري

وقال الزهري ومالك بن أنس وداود الظاهري انه طاهر وانما يغسل الاناء من ولوغه تعبدا

ويحكى هذا أيضا عن الحسن البصري وعروة بن الزبير محتجين بقوله تعالى — فكلوا مما أمسكن عليكم — ولم يذكر غسل موضع امساكها . وبحديث ابن عمر (قال كانت الكلاب تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وتبول فلم يكونوا يرشون شيئا من ذلك ذكره البخاري في صحيحه

ولكن الحاكين بنجاسة الكلب قالوا لعل حديث ابن عمر كان قبل الامر بالغسل من ولوغ الكلب أو أن بولها خفي مكانه فمن تيقنه لزمه غسله والله أعلم

(تم طبع هذا الكتاب بعون الملك الوهاب وذلك (بمطبعة محمود توفيق بمصر) في شهر القعدة سنة ١٣٤١ هجرية

على صاحبها أفضل الصلاة وأتم

التحية آمين